التعليق على
العقيدة القيروانية
لابن أبي زيد القيرواني رحمه الله
(310-368)هـ

تأليف

عمر بن عبدالله بن عاتق العلوي الحربي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المتن

الحَمْدُ للهِ الَّذِي ابْتَدَأَ الإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ، وَأَبْرَزَهُ الَى رِفْقِهِ وَمَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ عَظِيماً، وَنَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ المُرْسَلِينَ الخِيَرَةِ مِنْ خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَيَسَّرَ المُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرَى، فَآمَنُوا بِاللهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِم مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ.

أَمَّا بَعْدُ؛ أَعَانَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ، فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ القُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ مِنْ مُؤَكَّدِهَا وَنَوَافِلِهَا وَرَغَائِبِهَا وَشَيْءٍ مِنَ الآدَابِ مِنْهَا، وَجُمَلٍ مِنْ أُصُولِ الفِقْهِ وَفُنُونِهِ، عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ، مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ المُتَفَقِّهِينَ، لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ القُرْآنِ، لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللهِ وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ، وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ القُلُوبِ أَوْعَاهَا لِلخَيْرِ، وَأَرْجَى القُلُوبِ لِلخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ، وَأَوْلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ، إِيصَالُ الخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ المُؤْمِنِينَ لِيَرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الحَجَرِ، وَقَدْ مَثَّلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ بِحِفْظِهِ، وَيَشْرُفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالعَمَلِ بِهِ. وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللهُ عَلَى العِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ، لِيَأْتِيَ عَلَيْهِم البُلُوغُ وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.

وقد فرض الله سبحانه على القلب عملاً من الاعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملاً من الطاعات.

وسأفصل لك ما شرطت لك ذكره باباً باباً ليقرب من فهم متعلميه -إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى-، وإياه نستخير وبه تستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الشرح

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ذكر -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في مقدمة هذه الرسالة أو بدأ بحمد الله في المقدمة، وهذه الطريقة سلكها أهل العلم لأن هناك أصل أي دليل على استحباب البدء بحمد الله ــسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وقد جاء الحديث وهو حسن بطرقه وهو قول النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-: **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»**؛ أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

وهذا الحديث حسن بطرقه، ثم ذكر -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أن الله ــسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يهدي من يشاء بفضله، ويُضِل من يشاء بعدله، وهذا موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة.

لأن الله ــسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو الَّذِي يهدي هداية التوفيق ودليلها قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[القصص:56]**؛

وهو ــسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُضِل، والأدلة من القرآن والسنة كثيرة، ولكن أهل البدع تسلطوا على هذه الأدلة بالتحريف والتغيير قالوا: الله لا يضل أحدًا ولا يهدي أحدًا، فالعبد يهدي نفسه، وإنما يُحكم بأنه ضال بسبب عمله.

وهذا قول يخالف الدليل والإجماع، الله يهدي من يشاء ويُضِل من يشاء، ولكن هذا الإضلال هو عدم التوفيق.

أما العبد فإنه يسلك الطريق الَّذِي يختاره بفعله فإن الله جعل له الفعل، فالفعل يُنسب له حقيقة، ولكن إذا لم يعنه الله ويوفقه الله لقبول الحق فإنه لا يقبله، وهناك موانع من قبول الحق كالكبر، وهو أعظم الموانع، والله يهدي من يشاء أي يوفق وهذا بفضله وبإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن أسباب توفيق الله للهداية: التواضع، والإحسان، فالله يهدي من يستحق أي أهلًا للهداية ، ويُضِل من يستحق الضلالة.

ولا يعاقب الله أحدًا بغير ذنب ولكنه إذا لم يوفقه الله وييسر له طريق السعادة فإنه لا يهتدي، لكن إذا قامت عليه الحجة، وسلك طريق الغواية فإنه يكون مستحق للعذاب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم ذكر جملة من الأدلة، وهي التي تدل على فضل تعلم العلم، والعلم يتعلق بالاعتقاد وبالعمل، فالاعتقاد يُثمر عن العمل، فالصلاة مثلًا هي عبادة بدنية، ولكن يسبق ذلك اعتقاد وجوبها وفرضيتها وأنها فرضٌ وواجبة واعتقاد فضلها وما جاء في الأدلة، ثم هذا يحملك على ماذا؟ يُحملك على أدائها.

فالاعتقاد يسبق القول والعمل، ولا بد من الاعتقاد ومن القول ومن العمل، لأن الإيمان يكون بالقلب ويكون بالقول ويكون بالعمل، يزيد وينقص وهذا عند أهل السنة والجماعة.

المتن

باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات:

من ذلك الإيمانُ بالقلب، والنُّطقُ باللِّسان أنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شبيهَ له، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبة له، ولا شريكَ له.

الشرح

وهنا ذكر الأصل العظيم الَّذِي لا يقبل الله عمل إلا بوجوده، ولا يدخل في الإسلام إلا مع هذا الأصل العظيم ولو كان عنده ثم ذهب هذا الأصل فإنه يحبط عمله ألا وهو التوحيد الَّذِي لأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.

وهو أن يُفرد الله بالعبادة –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ويفرد الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بأسمائه وصفاته، فيفرد الله بأنواع التوحيد الثلاثة: الربوبية، وهو يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية وهو يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

فإذا قال ونحن نضرب مثال لما ينقض هذه الأنواع، فتوحيد الربوبية مثال ما ينقضه لو قال: أن هناك من يدبر هذا الكون مع الله، أو قال (ياعبدالقادر يالجيلاني يالمتصرف في الأكواني) هذه وجودت عند طوائف من الصوفية.

فإذا قال المتصرف في الأكوان جعل لله شريك في الألوهية أو في الأسماء والصفات أو الربوبية؟ في الربوبية، لأن التصرف والتدبير هذا من فعل الله وهو خاص به، هذا شرك في الربوبية، أما بالنسبة للألوهية فالشرك فيها كثير، وهذا غالب الشرك.

ولذلك الأمم التي أرسِل إليها الرسل غالب شركهم كان في الألوهية ومثاله كثير: صرف الدعاء للأموات، صرف الذبح ، صرف كل عبادة لغير الله.

التقرب لغير الله فيما هو لا يستحقه إلا الله، كالذبح والدعاء وغير ذلك من العبادات، كمن يذبح للجن هذا شرك في الألوهية، كمن يذبح للميت تقربًا وتعظيمًا، شرك في الألوهية كمن يطلب من الأموات الشفاعة شرك في الألوهية.

أما الأسماء والصفات الشرك فيها أن يجعل ما هو خاصٌ لله يجعله للمخلوق، فيقول أن الميت سمعه يسع جميع الأصوات ، إذا قال أن الميت سمعه يسع جميع الأصوات، فالله من صفاته أنه سميع، الله من صفاته السمع ومن أسمائه السميع.

فإذا قال إن الميت يسمع كل شيءٍ فنقول الآن أشركت في باب توحيد الأسماء والصفات، لأن هذا من خصائص الله في باب الأسماء والصفات.

المتن

ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ، لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الواصفون، ولاَ يُحيطُ بأمرِه المُتَفَكِّرونَ، يَعتَبِرُ المتفكِّرونَ بآياته، ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ ذاتِه، ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه إلاَّ بِما شاء وَسِعَ كرْسِيُّه السَّموات والأرض، ولا يؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ.

الشرح

هنا ذكر عبارة والأولى أن يقال: هو اَلْأَوَلُ والآخر والظاهر والباطن.

- ✓ **فالأول**: فسره النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- كما في صحيح مسلم هو اَلْأَوَلُ الَّذِي ليس قبله شيء.
- ✓ **والآخر**: هو الَّذِي ليس بعده شيء.
- ✓ **والظاهر**: هو الَّذِي ليس فوقه شيء.
- ✓ **والباطن**: هو الَّذِي ليس دونه شيء.

هذا الأولى أن يقال، فالله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- له الإحاطة الزمانية والمكانية ، فالإحاطة الزمانية تكون باسم اَلْأَوَلُ والآخر، والإحاطة المكانية تكون باسم الظاهر والباطن.

ثم ذكر أنه لا يُتفكر في ذات الله، المقصود أن الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لم يخبرنا عن كيفية ذاته ولا عن كيفية صفاته والعقول لا تدرك ذلك.

كيف يُدرك ذلك؟

إما بالخبر الصادق أن يخبرنا الله عن ذاته أو عن كيفية صفاته **وإما برؤية مثيله أو برؤية ذاته**، وكل هذا منتفي فإننا لم نرى الله ولم نرى مثيله ولم يخبرنا الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عن ذاته إذًا الكنه وذكر الكنه، الكنه مجهول بالنسبة لنا وإن كان هناك كنه.

هناك كنه لكن لا نعلمه لكن نعلم المعنى السمع هو إدراك الأصوات وهو السميع إذًا هذه الصفة معلومة من جهة المعنى لكن الكيفية لا نعلمها.

أما من جهة التفكر الشرعي يكون بماذا؟ بمخلوقاته، لأنك إذا تأملت المخلوق وعظمة هذا المخلوق هنا يحصل لك تعظيم الخالق.

فالتفكر لا في الذات وإنما في المخلوقات، لأن التفكر في المخلوقات يُثمر عن ماذا؟ يُثمر عن تعظيم الخالق –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وقد أمر –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالنظر والتأمل في المخلوقات وحتى في جسدك وكيفية خلقتك فإن هذا يُثمر الخوف من الله وتعظيم الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والإيمان به.

المتن

العالِمُ الخبيرُ، المُدَبِّرُ القَدِيرُ، السَّمِيعُ البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ، وَأنَّه فوقَ عَرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بِعلمه.

الشرح

نعم هو قال وهو فوق عرشه بذاته وهذا مذهب أهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا، هناك سبعة آيات في القرآن كلها تدل على استواء الله على عرشه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وخالف أهل البدع في هذا والذين خالفوا على قسمين.

قسم قالوا: الاستواء ليس له معنى، نفوض معناه ولا نعلم معناه، وهؤلاء المعطلة، **وقسم قالوا**: استوى أي استولى وهؤلاء هم المحرفة لأن القرآن فيه سبعة آيات كلها استوى وليس استولى.

كذلك الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ما منهم أحد قال استولى، وهذه مسائل عقيدة مجمع عليها لا يجوز لأحد أن يخالف فيها.

ولو خالف فيها فإنه لا يُعذر في مخالفته، لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[النساء:115]؛ الَّذِي يخالف الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في العقيدة، أي هم لهم عقيدة.

نزلت ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:5]؛ كيف آمن أصحاب الرسول والرسول بهذه الآية؟ آمنوا أن الله مستوي على العرش، فتأتي أنت تقول: لا غير مستوي على عرشه ولا أؤمن بهذا ويأتي شخص يقول: هذا معذور هذا مجتهد، نقول له لا هذا غير معذور.

هذا مجمع عليه، هل حصل خلاف بين الصحابة في هذه الْمَسْأَلَة، ما حصل خلاف، ولو فُتِح الباب هذا لكل أتى بدين وعقيدة يعتقدها وهذا الَّذِي حصل لأن العقائد الضالة هي التي فرقت الأمة، وهي التي أضعفت الأمة.

لأنه إذا كل شخص يأتي ببدعة في الاعتقاد وتثمر عن البغض والحب يبغض من خالفه ويحب من وافقه، وهو في أصل اعتقاده ضال، حصل هنا الاختلاف وتفرقت الأمة وأصبح بطشهم بينهم، وأصبحوا شيعًا ولكن أهل الحق ليسوا من هؤلاء، أهل الحق هم المتمسكين الذين لم يحرفوا ولم يعطلوا.

أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله مستوي على عرشه كما يليق بجلاله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وأنه فوق كل شيء وهذا يوافق الأدلة، أي العرش هل العرش في السفل ولا في العلو؟ في العلو، والعرش هو سقف المخلوقات وأكبر المخلوقات والله فوق العرش.

وهو أكبر من كل شيء -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فهذا يدل على أن الله فوق كل شيء، وهناك أدلة أخرى.

(**وهو في كلِّ مَكان بعِلمه**)؛ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو محيط بكل شيء، -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وهذه عند العلماء تسمى المعية لعامة دليلها قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[الحديد:4]؛ أي معكم بعلمه وإحاطته، مع الكافر والمسلم والخلق جميعًا.

المتن

خَلَقَ الإنسانَ ويَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهو أَقرَبُ إليهِ مِن حَبْلِ الوَرِيدِ.

الشرح

أي أن علوه لا ينافي قربه فهو وإن كان عليٌّ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وفوق كل شيء فهو قريب، لأن الله ليس كالمخلوق.

المخلوق تقول: لا يمكن أن يكون عالي ثم هو قريب، نقول: هذا لا يكون من جهة الخالق، فالمخلوق ليس كالخالق، الله عالٍ على خلقه وهو قريب منهم.

قرب حقيقي، هذا لعظمته –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لذلك عبارة ابن تيمية: **"وهو عليٌّ في دنوه قريبٌ في علوه "**

"عليٌّ في دنوه" مع أنه قريب لكنه عالي .

" قريبٌ في علوه " مع أنه عالي لكنه قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المتن

وما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلاَّ يَعلَمُها، ولاَ حَبَّةٍ في ظُلُمَاتِ الأرضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِس إلاَّ في كتاب مُبين.

الشرح

هذا يدل على صفة العلم الكامل الَّذِي لا نقص فيه، علم الله سبق كل شيء –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، الآن مراتب القدر أربعة مراتب، **العلم والمشيئة والخلق والكتابة** هذه أربعة مراتب.

يسبقها ماذا؟ العلم، علم ثم شاء ثم كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم ، ثم خلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، هذه كلها واضحة لكن "ما لم يكن لو كان كيف يكون"، استدل العلماء في قوله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾**[الأنعام:28]**.

أهل الشرك والكفار إذا رأوا النار يطلبون العودة، فيخبر الله أنه لو ردهم وهو لن يردهم أنهم سيعودون لكفرهم، وهذا علمه بما لم يكن، لو كان كيف يكون.

المتن

على العَرشِ استَوى، وعَلى المُلْكِ احْتَوى، وله الأسماء الحُسنى والصِّفاتُ العُلَى، لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه، تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً.

كلَّم موسى بكلامِه الَّذي هو صفةُ ذاتِه لا خَلْقٌ مِن خَلقِه، وَتَجَلَّى للجَبَل فصار دَكًّا مِن جلالِه، وأنَّ القرآنَ كلامُ الله، ليس بمخلُوقٍ فيَبِيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ فيَنْفَدُ.

الشرح

هنا ذكر -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ما يتعلق بهذه الْمَسْأَلَة وهي مسألة كلام الله، صفات الله أهل السنة والجماعة يثبتونها ولكن مسألة الكلام حصل ابتلاء وفتنة عظيمة من المعتزلة الجهمية وغيرهم وعُذِب أهل السنة وقُتِل من قُتِل منهم ليجبروهم على القول بأن القرآن مخلوق، وثبت الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فنصر الله أهل السنة، وجعل العاقبة لهم، فالقرآن كلام الله.

لماذا نقول كلام الله؟

لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾**[التوبة:6]**.

لماذا نقول أنه غير مخلوق؟

لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾**[الأعراف:54]**؛ فجعل الخلق على حدة والأمر على حدة، فالأمر غير الخلق.

ثم أيضًا الكلام صفة المتكلم وإذا كان الله غير مخلوق فصفته غير مخلوق، ولذلك أهل السنة والجماعة يقولون: أن الله يتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت، متى شاء وكيف شاء، لا يشبه كلام المخلوقين، ولا يماثل كلام المخلوقين لقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾**[الشورى:11]**؛ فإثبات الكلام معه نفي المثلية فكلام الله ليس ككلام المخلوق.

كلام المخلوق تعرف اتجاه الصوت من أين أتاك، ولذلك جاء في بعض الآثار عن موسى عليه السلام لما كلمه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وموسى كلمه الله من غير واسطة، قال: ربي لا أدري من أين يأتي الصوت، أي أن المخلوق تشعر أن الصوت يأتيك من الخلف إذا كان هو خلفك.

أو يأتيك الصوت من الأمام إذا كان هو أمامك، لكن –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يختلف كلامه عن كلام المخلوق، وهذا لعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هناك من ضل في هذا الباب طوائف كثيرة ، لكن الفتنة الآن الموجودة من هؤلاء الذين يزعمون أن الأمر سهلٌ وأن من قال بخلق القرآن كالأباضية يقول كل هؤلاء على خير ومجتهدين وعندهم أدلتهم! نقول الاستدلال هذا باطل، لكن الأدلة تكون حق، أي لو استدل بآية نقول الآية حق ، لكن هو استدلاله باطل.

الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ذكر أنه سيكون قوم يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وأن هؤلاء وصفهم الله أن في قلوبهم زيغ، والله ذمهم ووصفهم أن في قلوبهم زيغ وأنهم يتبعون المتشابه وأنهم يبتغون الفتنة، وأنت تثني عليهم وتقول هؤلاء لهم اجتهادهم.

فأي قول نأخذ قول الله أو قولك؟ نأخذ قول الله، يستدل بدليل ليس فيه استدلال ولا يصح أن يستدل به وما استدل به لا الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ولا السابقين استدلوا به، هل أحد ن الصحابة استدل بدليل على أن القرآن مخلوق؟

هو قد يجد شبهة يستدل بها لكن عند النظر نجد أن هذا الدليل قد خُصِص، وأن هذا عام أريد به الخاص.

الله خالق كل شيء، يقول القرآن من هذا الشيء، نقول هذا عام أريد به الخاص، نقول هذا في كل شيء إلا الله وصفاته، ثم من قال لك أن دائماً العموم يأتي على العموم؟ الريح التي أرسلها الله -عَزَّ وَجَلَّ- تدمر كل شيء، وهي في الحقيقة لا تدمر كل شيء، حتى مساكنهم بقيت، فلا يراد دائمًا بالعام أنه لا يكون خاصًا، يأتي العام ويراد به الخاص.

ولكن المهم أن نعلم وهذه للأسف الشبهة منتشرة الآن، يأتيك في مقطع يثني على الطائفة هذه ويقول هؤلاء لهم أدلة وهؤلاء مجتهدون، وهذا مذهب ما يسمون أنفسهم " بالإخوان المسلمين "، وهم في الحقيقة عند دراسة مذهبهم هم إخوان الشياطين.

هؤلاء يبطلون العقيدة، ويبطلون في الحقيقة الإسلام، أولًا الفرق هذه يقولون على حق ثم بعد ذلك قالوا: وحتى النصارى على حق، ثم قالوا حتى اليهود على حق، فلم يكن هناك حق.

الحق هو ما كان عليه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وأصحابه دل على هذا الكتاب والسنة والإجماع، ولو فُتِح الباب لكل مُحدث أن يُحدث لذهب حتى التوحيد، حتى التوحيد يذهب.

فينبغي التمسك بل يجب التمسك بما كان عليه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وأصحابه.

المتن

والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيدِه، ومَصدَرُها عن قضائِه.

عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قَبل كَونِه، فجَرَى على قَدَرِه، لا يَكون مِن عبادِه قَولٌ ولا عَمَلٌ إلاَّ وقدْ قَضَاهُ وسبق عِلْمُه به، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:14].

الشرح

باب القدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وقد مر معنا أن القدر له مراتب أربعة: العلم، والمشيئة، والكتابة، والخلق.

فكل ما حدث فقد علمه وشاءه إما قدرًا وإما شرعًا، وكتبه في اللوح المحفوظ وخلق بعد ذلك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لكن لا نعلم أن هذا قُدِر إلا بعد أن يقع، فإذا وقع شيء علمنا أنه قد قُدِر، فالقدر لا يُعلم إلا بعد أن يقع.

وخالف في هذا المعتزلة يقال لهم القدرية لأنهم يخالفون في مرتبة الخلق، فيقولون أن العبد خالق لفعله، وأهل السنة يقولون لا، الله الَّذِي خلق فعل العباد وأما الفعل فإنه يُنسب إلى العبد حقيقة، وأما الخلق فالخلق من خلق الله.

المتن

يُضِلُّ مَن يشاء فيَخْذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء فيُوَفِّقُه بفضلِه، فكَلٌّ مُيَسَّرٌ بتَيْسيره إلى ما سَبَقَ مِن علمه وقَدَرِه، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ.

تعالَى الله أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد، أو يكونَ لأَحَد عنه غِنًى، أو يكون خالقٌ لشيءٍ إلا هو رَبُّ العباد ورَبُّ أعمالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَركاتِهم وآجالِهم، الباعثُ الرُّسُل إليهِم لإقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهم.

الشرح

قال: (**تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد**)؛ أو يشاء فنقول هذا المراد به المشيئة أو الإرادة القدرية أنه لا يقع في ملك الله إلا شيء قد أراده الله قدرًا، أما شرعًا فقد يقع من الطاعات والعبادات ما يجتمع فيه الإرادة القدرية والشرعية.

أما ما لم يأمر به الله وقد نهى عنه من الشرك والكفر فإنّ هذا إن وقع فإنه يكون قد أراده قدرًا وهذا يسمى المشيئة القدرية.

المتن

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالةَ والنِّذَارَةَ والنُّبوَةَ بمحمَّد نَبيِّه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فجَعَلَه آخرَ المرْسَلين، بَشِيراً ونَذِيراً وداعياً إلى الله بإذنِه وسِرَاجاً منيراً.

وأنزَلَ عَليه كتابَه الحَكِيمَ، وشَرَحَ به دينَه القَويمَ، وهَدَى به الصِّرَاطَ المستَقيمَ.

الشرح

هنا ذكر رسالة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، ورسالة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى اله وَسَلَّم- اختلفت عن الرسالات التي قبله من جهة:

أولًا: أنها أكمل الرسالات.

والقرآن الَّذِي أُنزل هو مهيمن على ما قبله من الكتب، **ثم هو** -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- أُرسِل إلى الناس كافة بخلاف من قبله فإنه يُرسل إلى قومه خاصة، **ثم أنه** -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- لا نبي ورسول بعده، بخلاف من قبله فإن من بعدهم رسل.

والرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- لا نبي ولا رسول بعده، ولكن أيضًا مما تميزت به هذه الأمة ، أن هذه الأمة لا يذهب الحق فيها بالكلية ، قبل الأمم السابقة إذا ذهب الرسول وبدلوا بعده وذهب الحق أُرسل رسول آخر.

أما هذه الأمة بما أنه ليس هناك رسول بعد النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- فإن الحق لا يذهب بالكلية يقيض الله رجالًا يبينون الحق ويرجعون إلى أصل الرسالة ويعلمون الناس الحق، أهل التجديد وأهل الإصلاح، المقصود بالإصلاح إصلاح العقيدة.

لأن هناك من يدعي الإصلاح وهو يفسد العقيدة، فمن أصلح العقيدة وبعدها العمل فهذا مصلِح والعقيدة هي العقيدة التي كان عليها النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وأصحابه، فهذه الأمة فيها علماء مجددين، قال عنهم النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-: **«ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»** متفق عليه وهذا لفظ أحمد ؛ (قال البخاري وهم أهل العلم أ.هـ.) يجتبيهم الله ويختارهم.

العلم يأتي هبة من الله، هو نعم العلم بالتعلم لكن هناك من يتعلم لأجل الدنيا وهناك من يتعلم ولا ينتفع من علمه.

ولكن هناك من يوفقه الله للإخلاص والثبات ونشر العلم، فيجتمع الإخلاص والمتابعة، فهؤلاء هم أهل العلم في كل زمان المتمسكين بما كان عليه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- هؤلاء هم ورثة الرسل.

وهناك أيضًا خصائص أختص بها الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وكذلك هذه الأمة موجودة في مظانها.

المتن

وأنَّ السَّاعةَ آتيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن يَموتُ، كما بدأَهم يعودون.

الشرح

ذكر -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- ما يتلق بالبعث، ولا شك أن الإيمان بالبعث جاءت به الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، فمن لم يؤمن بالبعث فإنه يكون كافرًا إذا قامت عليه الحجة.

وغالب المشركين كانوا لا يؤمنون بالبعث، الذين بُعِث إليهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى اله وَسَلَّم- ولذلك تجد في السور المكية الآيات كثيرة في إثبات البعث والحجج في هذا من الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وبيان حال الَّذِين لا يؤمنون بالبعث.

لأنهم كانوا لا يؤمنوا في الغالب بالبعث مع شركهم وعبادة غير الله، فإنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث، والبعث يكون يوم القيامة، يقوم الناس لرب العالمين، ويقام العدل ويحيي الله -عَزَّ وَجَلَّ- الأموات، فهم يُبعثون بهذه الأجساد.

الأجساد التي كانت في الدنيا ترد لهم وتنبت كما جاء في الحديث وترسل لها الأرواح ويحاسبون بهذا الجسد لأن هذا الجسد هو الَّذِي وقع منه العمل في الدنيا، أما عند دخول أهل الجنة الجنة فيتغير الجسد، والصورة تتغير.

وكذلك أهل النار إذا دخلوا النار تتغير أجسادهم وتختلف عن الجسد الَّذِي عاشوا فيه على هذه الدنيا، هذا من جهة البعث.

فإن البعث يكون يوم القيامة، يبعث الله -عَزَّ وَجَلَّ- الناس ويحصل فيه الحساب والجزاء، ويحصل فيه الجنة والنار، ولا بد من الإيمان بهذا، أي مما يتعلق بالبعث الإيمان بالجنة وأنها حق والإيمان بالنار وأن النار حق أعدها الله للكافرين المشركين والجنة أعدها الله للمسلمين المؤمنين.

فإن هذا لا بد من الإيمان به وهو من الأركان التي لا يصح الإيمان إلا بها.

المتن

وأنَّ اللهَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ضاعَفَ لعبادِه المؤمنين الحسَنات، وصَفَحَ لهم بالتَّوبَة عن كبائرِ السيّئات وغَفَرَ لهم الصَّغائرَ باجْتناب الكبائرِ وجَعَلَ مَن لَم يَتُبْ مِنَ الكبائر صَائراً إلى مَشيئَتِه.

الشرح

نعم ضاعف للمؤمنين الحسنات ولذلك لا يُعطى مؤمن بعمله حسنة واحدة، إذا فعلت خيرًا لا تُعطى حسنة واحدة، وإنما يضاعف الله -عَزَّ وَجَلَّ- لك الحسنات إلى 700 ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف لا تعلمها.

لماذا؟ لأن عطاء الله ليس كعطاء الخلق، وجزاء الله ليس كجزاء الخلق –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فالله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إحسانه ليس كإحسانك، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وإحسانك العمل الصالح.

لكن إحسان الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أعظم من إحسانك، فلذلك العمل الصالح إذا عملته وكنت تظن أنه قليل إذا تقبله الله وكنت مخلصاً ففيه لله وعلى سنة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- فإنه عند الله يكون عظيمًا أي أجره عظيمًا يُضاعف، إلى 700 ضعف إلى أضعاف كثيرة.

لكن إلى حد، لكن إلا أن هناك من الأعمال ما لا ينحصر مضاعفتها، من ذلك الصبر قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[الزمر:10].

ومن ذلك الصيام كما في قوله صلى الله عليه وسلم «**إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**» .

هذه أعمال مضاعفتها لا نعلمها فلا يقال إلى سبع مئة ضعف بل أعظم من ذلك لا حد لها.

(**وغَفَرَ لهم الصَّغائرَ باجْتناب الكبائر**)؛ هنا ذكر أن الصغائر تغفر إذا اجتنبت الكبائر، ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[النساء:31].

فاجتناب الكبائر مع الإخلاص لله ومجاهدة النفس سبب في تكفير الصغائر ومفهوم هذا أن من أقدم على الكبائر نسأل الله السلامة والعافية واستمر عليها فإنها لا تكفر صغائره، لا تُكفر الذنوب الصغيرة، لكن من جاهد نفسه واجتنب الكبائر.

وحصل منه من الصغائر مع مجاهدته نفسه، أي من غير إصرار، فرق بين المصر وغير المصر ، ولذلك جاء عن ابن عباس وغيره: "لا كبيرة مع الاستغفار"؛ أي مع التوبة، "ولا صغيرة مع الإصرار"؛ ولكن إن وقع في الصغيرة وندم عليها وخاف منها فإن الله يكفرها له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما الكبائر فإنها تحتاج إلى توبة، ولذلك جاء في صحيح مسلم233 أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- قال: « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ ».

(**وجَعَلَ مَن لَم يَتُبْ مِنَ الكبائر صَائراً إلى مَشيئَتِه**)؛ وهذه الْمَسْأَلَة هي أول مسألة حصل الخلاف بسببها أو حصل الخلاف في أمة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، ذكر هذا الإمام ابن تيمية في الفتاوى.

أي أول ما خُرِق إجماع الصحابة، الخوارج خرقوا إجماع الصحابة لما اعتقدوا أن مات على كبيرة من المسلمين ولم يتب فإنه يكون كافرًا.

أولًا: هو إذا فعلها عند الخوارج إذا فعل الكبيرة ولم يتب يكون كافرًا في الدنيا وإذا مات ولم يتب يكن خالدًا مخلد في النار، هذا مذهب الخوارج، وهذا أول خلاف حصل، أي الخلاف الَّذِي لا يسوغ أما الخلاف الَّذِي يسوغ حصل.

اجتهاد واختلاف الصحابة في مسائل، لكن الخلاف الَّذِي حصل فيه مخالفة سبيل المؤمنين =أي إجماع الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- أي الصحابة أجمعوا على أن المسلم إذا ارتكب كبيرة فالاسم الصحيح له أنه مؤمن ناقص الإيمان، هذا في الدنيا.

هل يقال عنه مسلم؟ نقول: نعم، إذا مات هل يُصلى عليه؟ نعم، ولو لم يتب من هذه الكبيرة، هل إيمانه كامل؟ لا بل ناقص الإيمان، هل إيمانه يذهب بالكلية؟ لا هذا قول الخوارج، والمرجئة يقولون: كامل الإيمان.

الخوارج يقولون: لا إيمان لهذا بل هذا كافر، أهل السنة والجماعة يقولون: هو ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، هذه الْمَسْأَلَة مجمع عليها من الكتاب والسنة.

نأتي بدليل من القرآن: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[النساء:48]؛ هذه الآية في غير التائبين أي من مات على الكبيرة ولم يشرك بالله وهو مسلم.

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ معناه يغفر لكن بحسب مشيئته .

﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ يعني ولو قال "ويغفر ما دون ذلك" نقول إذًا كل من مات على ما دون الشرك فهو مغفور له لكن قال " لمن يشاء ".

أهل السنة عندهم دقة في الاستدلال، في أقوالهم دائمًا تجدها منصوص عليها أي ما يخرجون عن الكتاب والسنة لأنهم هم ورثة الرسل، فيقولون: صاحب الكبيرة إذا مات

عليها مصرًا عليها أما حاله في الدنيا فهو مسلم وناقص إيمانه، أما حاله في الآخرة: فإنه تحت مشيئة الله إن شاء الله عذبه بذنبه وإن شاء عفا عنه ولكنه لا يخلد في النار.

عدم خلوده في النار لأدلة عندنا كثيرة متواترة، أحاديث الشفاعة أحاديث متواترة عند العلماء هي أحاديث متواترة تواترًا معنويا.

أكثر ما تجدها في صحيح مسلم، جمعها الإمام مسلم -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- وهي موجودة في البخاري، **«أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله»**؛ **«أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**؛ فلا يخلد في نار إلا أهل الكفر والشرك، وهذا يخالف الخوارج والمعتزلة.

وأهل الأهواء والبدع يتخبطون –نسأل الله السلامة والعافية- حتى المعاصرين الآن يحاول يفر من مذهب الخوارج لكن يأتيك بطريقة أخرى.

الكبيرة يجعلها كفرًا، وفي مسائل مختلف فيها يجعلها متفق عليها، تجد مسألة ليس كفرًا بواحًا فيه تفصيل، أي التكفير فيه يحتاج إلى تفصيل والعلماء فصلوا.

تجده يقول: هذا كفر بواح حتى ينطبق الحديث" إلا أن تروا كفرًا بواحًا " ، فأهل الأهواء –نسأل الله السلامة والعافية- كما قال عنهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: **« تَتَجَارَى بِهِمِ تِلْكَ الأَهْوَاء كَما يَتَجَارَى الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ لا يَبقَى مِنْهُ عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ »** رواه أبو داود والطبرانيّ.

الكَلَب: انظر الآن الى الرجل لو كان مصاب بالكَلب أو السعر يسمونه السعر، وصل لمرحلة دمائه اختلطت بهذا الوباء –نسأل الله السلامة والعافية-، فأصبح يتخبط.

وهذا الوصف دقيق وصف النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- أهل الأهواء بهذا، فهؤلاء -نسأل الله السلامة والعافية- الكذب عندهم كثير، التلبيس كثير، التلون كثير، فهؤلاء مثل من أصابه الكَلب، كأنه لا عقل له، تَتَجَارَى بِهِم تِلْكَ الأَهْوَاء كَما يَتَجَارَى الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ لا يَبقَى مِنْهُ عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ .

المتن

وجَعَلَ مَن لَم يَتُبْ مِنَ الكبائر صَائراً إلى مَشيئَتِه {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:48] ومَن عاقَبَه اللهُ بنارِه أخرجه مِنها بإيمانِه، فأدخَلَه به جَنَّتَه {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} [الزلزلة:8]، ويُخرِجُ منها بشفاعَة النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مَن شَفَعَ لَه مِن أهلِ الكبائرِ مِن أمَّتِه.

الشرح

الشفاعة لأهل الكبائر شفاعة عامة، الرسل يشفعون، الملائكة يشفعون، الصالحون يشفعون، بالنسبة لأهل الكبائر، قال العلماء: لو كان مستحقٌ للنار قبل أن يدخلها، يشفع له شافع ألا يدخلها.

من دخلوها من المسلمين من أهل الكبائر الَّذِين ماتوا ولم يتوبوا ولا نقول كلهم يدخلون لأن الله يقول: لمن يشاء، بعضهم ما يدخلها أصلًا.

لكن هناك من شاء الله أن يدخلها من أهل الكبائر من المسلمين فهؤلاء يخرجون بشفاعة، إما من الرسل أو الملائكة أو الصالحين.

هناك من يخرج بغير شفاعة، لكن برحمة الله وفضله، كما في صحيح مسلم أنه يقبض قبضة من النار فيُخرج أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط، طبعًا من المسلمين.

ويبقى أهل الشرك والكفر، لكن الشفاعات الخاصة بالرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- **هي ثلاث شفاعات:**

- **الْأُوْلَى**: شفاعته لعمه.
- **الثَّانِيَة**: الشفاعة العظمى، شفاعته لأهل الموقف أن يُقضى بينهم.
- **الشفاعة الثالثة**: شفاعته لأهل الجنة بأن يدخلوها ، فإن باب الجنة لا يُفتح إلا للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.

المتن

وأنَّ اللهَ سبحانه قد خَلَقَ الجَنَّةَ فأعَدَّها دارَ خُلُود لأوليائِه، وأكرَمهم فيها بالنَّظر إلَى وَجْهِهِ الكريم، وهي الَّتِي أَهْبَطَ منها آدَمَ نبيَّه وخلِيفَتَه إلى أَرضِه بِما سَبَقَ فِي سابِقِ عِلمِه.

الشرح

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة لأن المعتزلة يقولون: يخلق جنة يوم القيامة، فيقولون: الجنة ليست موجودة الآن.

فأهل السنة يقولون الأدلة تقول أنها موجودة، أعدت للمتقين، ثم الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- في السنة رأى الجنة وعرضت له.

ورأى أهلها وأكثر أهلها كذا، ورأى أكثر أهل النار، وعرضت له، فهي موجودة، يدل على هذا الكتاب والسنة والإجماع بخلاف قول المعتزلة وغيرهم أنها غير موجودة الآن وتخلق يوم القيامة.

المتن

وخَلَقَ النَّارَ فأعَدَّها دَارَ خُلُود لِمَن كَفَرَ به، وألْحَدَ في آياتِه وكتُبه ورُسُلِه، وجَعَلَهم مَحجُوبِين عن رُؤيَتِه.

الشرح

مسألة الرؤية هي مسألة مهمة، من المسائل المجمع عليها رؤية الله يوم القيامة، دليلها الكتاب والسنة والإجماع .

الأباضية خوارج مع أن الخوارج القدامى في زمن علي ما كانوا أصلًا ينفون الرؤية ولا كانوا يعطلون الصفات، كان عندهم تكفير مرتكب الكبيرة.

لكن تطور المذهب، دائمًا أهل البدع يتطور بهم الحال إلى الأسوأ مع مرور الزمن لا يقتربون من الحق إنما يزدادون بعدًا فتطور بهم الحال حتى سلكوا مسلك المعتزلة في الصفات.

وهذا باب الضلالة -نسأل الله أن يعصمنا وإياكم منه- باب الضلالة باب خطير، باب الضلالة والبدع، من سلك باب الضلالة إذا لم يهده الله فإنه يزداد في الضلالة، مثل التائه الَّذِي تاه وسلك طريقًا يظنه صحيح فتجده يبتعد يبتعد والبدعة بابٌ للشرك والكفر.

فرؤية الله ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع وحتى العقل، حتى العقل لأن العقل الصريح يوافق النقل الصحيح، ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[القيامة:22-23].

في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:26]؛ حديث صهيب في صحيح مسلم والرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- هل هناك أحد يأخذ تفسير غير تفسير الرسول؟! كيف ينكرونه؟!

سُئِل الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- عن الزيادة: قال: رؤية وجه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، تفسير الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- كيف تتركه؟!

وجدت رجل في مقطع يقول الأباضية عندهم أدلة، وهو تجده منهم لكن يريد أن يلبس على أهل السنة والجماعة، ويقول نحن نتبع علماء، فالأولى اتبع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، كلام الله والرسول فسر لك الآية.

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:26]؛ وفسر الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- في الحديث الصحيح أن الزيادة هي رؤية وجه الله -عَزَّ وَجَلَّ- يوم القيامة.

حتى الشافعي لما ذكر الآية، أن المشركين يُحجبون عن ربهم، قال: هذا دليل على أن المؤمنين يرون ربهم، هناك أدلة صريحة وهناك أدلة مستنبطة في السنة، في الصحيحين الحديث: «**إنكم سترون ربكم**»؛ يقول هذا مجاز

أنت ممكن تجد لك مخرج ما تريد الكلام هذا تجد لك مخرج، لكن هذا الحق «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**»؛ يقولون المعتزلة حتى لا يثبتون يقولون: المراد بالرؤية العلم، حتى هذا ما يخطر على بال الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- الذين يسمعون كلام الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، لكن أنت لا تريد أن تؤمن ستجد لك طريق، طريق باب الضلالة مفتوح.

الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- إذا قال وكذلك أدلة القرآن الأصل أن ظاهرها معمول به، من غير تقدير محذوف إنكم سترون ربكم أي تعلمون ربكم، فالرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- يقول ترون وهم يقولون المقصود تعلمون ، ما فيه رؤية يوم القيامة.

وهذا تحريف للشريعة وخرق لإجماع الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم-، وهذه مسائل اعتقاد يجب الإيمان بها.

لا يجوز لأحد أن يقول هذا مجتهد لا هذا غير مجتهد بل هذا مذنب مبتدع خارق لإجماع الصحابة، ثم هؤلاء أيضًا الَّذِين يعتقدون هذه العقيدة تجده يضلل وبعضهم يكفر أهل السنة الذين يوافقون الحق.

مذهب أهل السنة والجماعة في رؤية الله يوم القيامة: قالوا وهذا مبني على الأدلة: أن المؤمنين يرون ربهم بأعيانهم، من فوقهم يوم القيامة فالدنيا ليس فيها رؤية.

الأشاعرة قالوا: يُرى لكن لا في جهة، لأنهم ينفون العلو.

الحديث: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»؛ إذًا هو فوق، لأن القمر فوق، ثم إن الرؤية رؤية أعيان.

لكن هل هو كعينك في الدنيا؟ لا، الله يعطيهم بصرًا ليس كالبصر الَّذِي في الدنيا، يكمل الله لهم -عَزَّ وَجَلَّ- البصر، فيرون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، أما في الدنيا فقد جاء في الحديث الصحيح إنكم لن ترون ربكم في الدنيا، أو في حديث آخر: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»؛ موسى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- طلب من الله الرؤية، وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[الأعراف:143].

لا يتحمل البصر والجسد في الدنيا رؤية الله، ولكن في الآخرة يعطيهم الله أبصار هي خير من هذه الأبصار في الدنيا فيرون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المتن

وأنَّ الله تبارك وتعالى يَجيءُ يَومَ القيامَةِ: {وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:22].

الشرح

الله يجيء وهذه صفة فعلية ثابتة لله أهل السنة والجماعة يثبتونها كما وردت كذلك الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- يثبتون المجيء ومن الصفات الفعلية فيجيء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على ما يليق بجلاله، ومجيء الله ليس كمجيء الملائكة، لأن الملائكة من الخلق، وفعل الله ليس كفعل الخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذا الدليل تسلط عليه أهل البدع فقالوا: الله ما يجيء، يجيء أمره، وهذا قول باطل يخالف الظاهر ويخالف الإجماع، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يجيء مجيء حقيقي يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المتن

لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وعقُوبَتِها وثَوابِها، وتُوضَعُ الموازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ: {فمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فأولئك هم المُفلِحون} [الأعراف:8].

الشرح

الموازين على ظواهرها، الميزان له كفتان ولسان، هناك من زعم أن المراد بالميزان العدل وأنه ليس هناك ميزان، وهذا قول للمعتزلة وبعض الأشاعرة، وهذا قول باطل يخالف الظاهر.

فالموازين على ظاهرها والأصل أن الأدلة تُحمل على ظاهرها إلا إذا كان هناك دليل بيّن يدل على خلاف الظاهر، دليل من الكتاب أو السنة.

المتن

ويُؤْتَوْنَ صَحائِفهم بأعمَالِهم: فمَن أُوتِي كتابَه بيمينه فسوف يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً، ومَن أُوتِي كتابَه ورَاء ظَهْرِه فأولئِك يَصْلَوْنَ سَعيراً.

وأنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُه العبادُ بِقَدْرِ أعمالِهم، فناجُون مُتفاوِتُون في سُرعَة النَّجاةِ عليه مِن نار جَهَنَّم، وقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فيها أعمالُهم.

الشرح

الذين يعبرون الصراط على ثلاثة أقسام:

أما الهالكين فعلى قسمين:

- هم أهل الشرك والكفر، وأولئك يسقطون ولا يتجاوزونه.
- وقسم ممن شاء الله من أهل الكبائر من المسلمين يسقطون في النار ويُعذبون، ولكن عذابهم إلى أجل الله أعلم به، لأنه لا يخلد في النار مسلم.
- وقسمٌ يحصل لهم النجاة .

والذين يحصل لهم النجاة يتفاوتون:

- منهم من يكون مروره سريعًا كالبرق، كلمح البصر، كأسرع الخيل.
- ومنهم من يحبو حبوًا حتى يتجاوزه.

فالناس الله أعلم بحالهم يتفاوتون في الدنيا في أعمالهم وفي قربهم إلى الله ـسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لكن من تجاوز الصراط قد نجا من النار، لأنه إذا عبر الصراط هنا النار خلفه فقد نجا من النار، ولكن يُحبسون في قنطرة فيقتص أهل الإيمان بعضهم من بعض ثم يشفع لهم الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وتفتح أبواب الجنة لهم.

المتن

والإيمانُ بِحَوْض رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، تَرِدُهُ أمَّتُهُ لاَ يَظْمَأُ مَن شَرب مِنه، ويُذَادُ عنه مَنْ بَدَّلَ وغَيَّرَ.

الشرح

الحوض حق وكل رسول له حوض كما جاء في الحديث الصحيح، لكن أكمل الأحواض وأكبرها وأكثر من يرد عليه هو حوض النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، وهو يكون في عرصات يوم القيامة ولكن منبعه وأصله من الجنة، كما جاء في الحديث الصحيح.

دل على الحوض الكتاب القرآن والسنة والإجماع.

وعقوبة أهل البدع أنهم يُطردون عن الحوض، أهل البدع الذين يوالون ويعادون على بدعهم ويضللون من خالفهم ممن تمسك بالحق فإنهم يُطردون عن حوض الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- ولا يشربون منه.

المتن

وأنَّ الإيمانَ قَولٌ باللِّسانِ، وإخلاَصٌ بالقلب، وعَمَلٌ بالجوارِح، يَزيد بزيادَة الأعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها، فيكون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكْمُلُ قَولُ الإيمانِ إلاَّ بالعمل.

ولا قَولٌ وعَمَلٌ إلاَّ بنِيَّة، ولا قولٌ وعَمَلٌ وَنيَّةٌ إلاَّ بمُوَافَقَة السُّنَّة.

الشرح

الإيمان عند أهل السنة والجماعة تعريفه هم أخذوا ذلك من الأدلة، وهذا ضل فيه الفرق ضلوا في هذا، فعند أهل السنة والجماعة الإيمان يكون في القلب وباللسان وبالعمل.

فالعمل داخل في مسمى الإيمان، كما أن الشرك والكفر يكون في الاعتقاد وبالقول وبالعمل، هذا عند أهل السنة والجماعة، وهذا أمر مجمع عليه.

ثم في مسألة هي التي تبين لك السني أو من سلك الحق في هذا الباب ومن ضل، هي مسألة الزيادة والنقص.

جميع أهل البدع الذين خالفوا أهل السنة في هذا الباب يقولون أن الإيمان لا يتبعض، الخوارج، المعتزلة، والطوائف الَّذِين خالفوا أهل السنة في هذا الباب يقولون أن الإيمان لا يتبعض أي لا يزيد ولا ينقص، وإن كانوا يختلفون بينهم.

فمثلًا **الخوارج** يقولون: الإيمان في القلب وباللسان وبالعمل، لكنهم لا يوافقون أهل السنة في أنه يزيد وينقص، ولذلك يقولون لو ينقص قليل منه ذهب كله، ويكفرون بالكبائر.

المرجئة: يقولون: الإيمان ثابت لا يزيد ولا ينقص، لذلك عندهم صاحب الكبيرة كامل الإيمان، فإذا أردت أن تعرف مخالفة الفرق أو من يوافق أهل السنة فانظر إلى مسألة زيادة الإيمان ونقصه.

فهذه الْمَسْأَلَة جميع الفرق التي ضلت في هذا الباب وهو باب الإيمان ، من خوارج أو معتزلة أو مرجة كلهم يتفقون على مسألة وهي أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وأن أهل السنة والجماعة جميعهم يتفقون على مسألة أن الإيمان يزيد وينقص، حتى مرجئة الفقهاء يقولون: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، هم أخف أنواع المرجئة.

فمسألة زيادة الإيمان ونقصانه هذا لا يقول بها إلا أهل السنة المحضة، فإذا رأيت الرجل يقول أن الإيمان يزيد وينقص وقولٌ وعمل واعتقاد فاعلم أنه من أهل السنة، حتى لو أخطأ في بعض المسائل، لأن هناك للأسف من قال بأن عالم من علماء أهل السنة أنه مرجئ مع أنه يقرر مذهب أهل السنة ويعتقد عقيدتهم وأنه يزيد وينقص لأنه أخطأ في مسألة في التطبيق.

لا هذا لا يقال عليه مرجئ بل تقول: أخطأ في تلك الْمَسْأَلَة وهو من أهل السنة ثم هو لم يعادي ويوالي على هذا الخطأ وهذه مهمة، كيف تعرف أن الرجل من الفرق الضالة؟ إذا عادى أهل السنة وقال: من لم يسلك هذه العقيدة التي هو أخطأ فيها فهو ضال، أو أبغضه لأجل خطئه، وهنا يخرج إلى باب الفرق.

أما لو أخطأ ولم يعادي ولم ويوالي فبعض علماء أهل السنة أخطأوا في مسائل، لكن لا يوالون ولا يعادون على هذا الخطأ.

المتن

وأنَّه لا يَكفُرُ أَحدٌ بذَنب مِنْ أهْل القِبْلَة.

الشرح

لا يكفر أحد بذنب، هذا يريدون به الرد على الخوارج أي كبائر الذنوب، أما ترك الصلاة فيكفر بها على الصحيح، وهو قول جمهور السلف.

الشرك ذنب يكفر به.

وقوله "ذنب"؛ يراد وهو اصطلاح موجود في كتب أهل السنة يراد به الكبائر لأن هذا في معرض الرد على الخوارج.

المتن

وأنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ عند ربِّهِم يُرْزَقون، وأرْواحُ أهْل السَّعادَةِ باقِيةٌ ناعِمةٌ إلى يوم يُبْعَثون وأرواحُ أهلِ الشَّقاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إلى يَوم الدِّين.

الشرح

أرواح أهل السعادة منعمة ونعيمها أعظم من نعيم الدنيا هذا في البرزخ ونعيمها في الآخرة أعظم من نعيم البرزخ.

(**وأرواحُ أهلِ الشَّقاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إلى يَوم الدِّين**)؛ نسأل الله السلامة والعافية ، أي في البرزخ وعذابها أشد من عذاب الدنيا وعذابها يوم القيامة أشد من عذاب البرزخ.

المتن

وأنَّ المؤمنِينَ يُفْتَنُونَ في قُبُورِهم ويُسْأَلُون، {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم:27].

الشرح

هذا ما يسمى بفتنة القبر، هناك فتنة القبر، وهناك (عذاب القبر أو نعيم القبر) ، فالفتنة قبل العذاب والنعيم، فالفتنة المراد بها السؤال، **{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ويُضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء} [إبراهيم:27]**.

فهذه وردت كما في صحيح مسلم وغيره في سؤال الملكين لمن مات **عن ربه ودينه ورسوله** -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، هناك من لا يُفتن، الرسل لا يفتنون في قبورهم يعني ما يسئلون في قبورهم، الصديقون لا يفتنون في قبورهم، الشهداء أي شهيد المعركة لا يفتنون في قبورهم.

أي من تقبله الله شهيدًا أنتم تسمعون كثيرًا قول شهيد شهيد، هناك من يجعلك شهيد، ويُدخلون ناس إلى الجنة، ويُدخلون ناس إلى النار -نسأل الله السلامة والعافية-، كأن الجنة والنار بأيديهم.

من مات من الصالحين تحت جهاد صحيح موافق للشريعة وبشروطه نرجو، حتى لا نجزم بل **نرجو** أن يكون شهيدًا، نقول: **نرجو** له الشهادة.

لا نعلم ما في مقصده وماذا يريد من عمله، نعلم الظاهر فقط نرجو، فالشهيد الَّذِي تقبله الله شهيدًا لا يُفتن في قبره، قال العلماء من باب أولى الصدِّيق لأن الصدِّيق أعظم منزلة من الشهيد.

المتن

وأنَّ على العباد حَفَظَةً يَكتُبون أعمالَهم، ولا يَسقُطُ شيْءٌ مِن ذلك عَن عِلمِ ربِّهِم، وأنَّ مَلَكَ الموتِ يَقْبِضُ الأرواحَ بإذن ربِّه.

الشرح

الملائكة الإيمان بهم والإيمان بأعمالهم إما الإيمان بالملائكة على سبيل الإجمال أو على سبيل التفصيل، الإجمال نؤمن بهم جميعًا، وأما التفصيل فنؤمن بأسماء من ورد اسمه بالأدلة وكذلك أعمالهم على ما جاء في الكتاب والسنة.

المتن

وأنَّ خيْرَ القرون القرنُ الَّذين رَأَوا رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وآمَنوا به، ثمَّ الَّذين يَلُونَهم ثمَّ الَّذين يَلونَهم.

الشرح

لماذا خير القرون؟ لقول النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-: **«لا يأتي زمان إلا الَّذِي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم»**؛ لأن التبديل والتغيير يحصل مع طول المدة، أعظم فتنة هي فتنة الشبهات، أي في زمن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- كان هناك شهوات حصل الزنا، وحصل شرب الخمر من بعض الصحابة .

ولكن بعد النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- في آخر خلافة عثمان حصلت فتنة تموج كموج البحر هي فتنة الشبهات، تبديل الدين، لأن تبديل الدين وتحريفه ما ينتج عنه ؟ ينتج عنه اختلاف الناس في دينهم، لأن هذا له دين يعاديك وهو دين باطل.

ويزعم أنه هو الإسلام، فتحصل الفرقة والفرقة عذاب، والفرقة مقرونة بالضعف، فبدل ما كان المسلمين يقاتلون عدوهم على عقيدة واحدة، أصبح بعضهم يقاتل بعضًا.

وهذا لا شك أنه أشد، لذلك تجد أن القرن اَلْأَوَلُ زمن الصحابة لا يوجد فيه فتنة الشبهات، ليس هناك خوارج لهم راية، ليس هناك بدع، الوحي ينزل، في زمن خلافة أبي بكر، كذلك ظهر فيه أهل الردة، أمرهم واضح لا يريدون الإسلام، يريدون أن يعودوا إلى ما كانوا عليه.

وكذلك خلافة عمر كان حريصًا عمر ألا تظهر هذه الفتنة في حياته، ولذلك عمر هو الباب الَّذِي بعده لما كُسِر هذا الباب ظهرت بعده فتنة الشبهات.

ولذلك كلما كان الزمن أقرب إلى زمن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان أفضل لأن هذه الفتنة لم تكن موجودة، يقتلك وأنت ذاهب لتصلي.

والَّذِي يقتلك يريد الأجر من الله ويحتسب الأجر عند الله، يرى أن قتلك أولى من قتل اليهود والنصارى.

هذا سبّب في حال المسلمين فرقة وفتنة داخلية عظيمة، ولذلك جاء في قول القائل: "كل العداوات قد يرجى مودتها ***إلا عداوة من عداك في الدين".

والمبتدع يرى أنه على حق وهو على باطل محرف لدين الله، ويرى أن صاحب السنة ومن كان على الحق على باطل، فانقلب عنده الحق إلى باطل والباطل إلى حق، وهذا الَّذِي في الحديث: **«ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»**؛ وهي موجودة الآن هذه الفتنة، ونحن في أزمنة متأخرة.

المتن

وأنَّ خيْرَ القرون القرنُ الَّذين رَأَوا رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وآمَنوا به، ثمَّ الَّذين يَلُونَهم ثمَّ الَّذين يَلونَهم.

وَأفْضَلُ الصحابة: الخُلَفاءُ الرَّاشدون المَهْديُّون؛ أبو بكر ثمَّ عُمر ثمَّ عُثمان ثمَّ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين.

الشرح

هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون هذا الترتيب في ترتيب فضلهم على ترتيب خلافتهم، فالخليفة اَلْأَوّلُ هو أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وأنت تعلم مكانة أبو بكر صاحب الغار، وقربه من النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- ونصرته للرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- وهجرته معه، ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم جميعًا.

ولم يكن هناك بينهم خلاف في الدين، حتى في صحيح البخاري علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لما استشهد عمر وكانوا سيدفنونه واقف ويقول: ما تمنيت أن ألقى الله بعمل أحد كما تمنيت أن ألقاه بعمل عمر.

لكن أهل البدع أهل كذب أهل البدع أهل تحريف كما قال ابن القيم " من حرف النص الصريح فكيف ** لا يأتي بتحريف على إنسان "من كذب على الله ووضع دينًا لم يرضه، سيكذب على علي وسيكذب على غيره، نسأل الله السلامة والعافية.

المتن

وأن لاَ يُذكَرَ أَحَدٌ مِن صحابَةِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم إلاَّ بأحْسَنِ ذِكْرٍ، والإمساك عمَّا شَجَرَ بَينهم، وأنَّهم أحَقُّ النَّاس، أن يُلْتَمَسَ لَهم أَحسَنَ المخارج، ويُظَنَّ بهم أحْسن المذاهب.

الشرح

هنا ذكر موقفنا من الصحابة ألا نذكرهم إلا بخير، تلك أمة قد خلت، ولكن الأدلة التي عندنا تدل على فضلهم فلا نذكرهم إلا بخير.

ولا نرى أنهم قد عُصِموا من الذنوب، لم يُعصَموا من الذنوب أي من الصغائر ولا من الكبائر، ولكن الخلفاء الراشدون لهم مكانتهم، وهم أفضل الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ولكننا نمسك عما شجر بينهم، والفتنة التي حصلت بين أهل الشام وأهل العراق.

ولكننا لا نمسك عما صدر من الخوارج، بل نذم الخوارج ولذلك جاء في الحديث: **«تمرُقُ مارقَةٌ عند فُرقَةٍ من المسلمينَ يقتلها أولى الطَّائفتينِ بالحَقّ»**؛ لاحظ الحديث عجيب.

الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- ذكر الصحابة ولم يذمهم حتى لم يذم أهل الشام ولم يذم أهل العراق، بل قال: تمرق مارقة، ذم المارقة الخوارج.

«تمرُقُ مارقَةٌ عند فُرقَةٍ من المسلمينَ»؛ حتى وصفهم بالإسلام وهذا فيه رد على من كفر معاوية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وكفر جيش معاوية، هذا يوجد، كل الروافض هؤلاء يكفرون معاوية وجيش معاوية.

«تمرُقُ مارقَةٌ عند فُرقَةٍ من المسلمينَ»؛ قال عنهم من المسلمين.

«يقتلها أولى الطَّائفتينِ إلى بالحَقِّ»؛ حتى ما قال على الحق قال أولى، ولكن نحن عندنا القول الصحيح أن الحق في هذا الذين اعتزلوا هذه الفتنة، ويدل على هذا، فكل شيء بدليل، يدل على هذا ما في البخاري.

أن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- قال عن الحسن: **«ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظميتين من المسلمين»**؛ هذا أمر غيبي، ومدحهم بأنهم مسلمين، يدخل في هذا معاوية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وعمرو بن العاص.

فيه ناس يسبونه ليلًا ونهارًا، قال: من المسلمين، أي يسعك ما وسع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام-، هل سبهم؟ عنده من الوحي أنه سيحصل القتال، عنده من الوحي أنه ستحصل الفرقة، هل سبهم؟ هل ذمهم؟ قال: من المسلمين.

فالحسن -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- تنازل وسمي ذاك العام عام الجماعة، هل هذا يحبه الله؟ نعم، لأن الرسول أثنى عليه أن فعل هذا.

استنبط من هذا الإمام ابن تيمية وغيره أن الذين اعتزلوا ولم يدخلوا القتال قتال بين أهل الشام وبين أهل العراق، هؤلاء على لحق.

أما قتال الخوارج المارقة فهؤلاء مأمورٌ بقتالهم، فمن قاتلهم مع علي فهذه منقبة، قتال الخوارج.

لذلك يقول ابن عمر في آخر حياته ندم أنه لم يقاتل الخوارج مع علي، لورود الحديث فيهم .

«تمرُقُ مارقَةٌ عند فُرقَةٍ من المسلمينَ»؛ ولذلك لاحظ دائمًا الخوارج متى تقوى شوكتهم؟ هذا استنباط إذا كثرت الفرقة بين المسلمين، إذا زادت الفرقة بين المسلمين يمرقون.

الفرقة شر نحاول الابتعاد بقدر الإمكان عن الفرقة لأنه إذا زادت الفرقة هنا يخرجون الخوارج، " على حين فرقة".

أي لو اختل الأمن -نسأل الله السلامة والعافية- مباشرة تجد راية الخوارج ترتفع، ما دام فيه أمن واستقرار واجتماع فهم بعيدين عن الخروج لكن لو يختل الأمن مباشرة تجد رايتهم قد ارتفعت، إذًا علامتهم حين الفرقة يخرجون.

المتن

والطَّاعَةُ لأئمَّة المسلمين مِن وُلاَة أمورِهم وعُلمائهم، واتِّباعُ السَّلَفِ الصَّالِح واقتفاءُ آثارِهم، والاستغفارُ لهم.

الشرح

في قوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:59]؛ اختلف العلماء ما المراد بأولي الأمر، هل المراد الأمراء فقط، أو الأمراء والعلماء؟

ذهب الإمام الطبري إلى أن المراد بذلك الأمراء فقط، وذهب جمع من أهل العلم والمحققين كالإمام ابن تمية وكذلك ابن القيم وغيرهم من علمائنا -رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- على أن المراد العلماء والأمراء.

فالعلماء يحملون الشريعة لذلك تجد الآن أن الَّذِي يحكم بالحد القضاة وعند التطبيق تجده بأمر ولي الأمر .

فهناك ارتباط بين العلماء وولي الأمر، وهذا القول قوي أن المراد بهم العلماء والأمراء، هذا المراد بولاة الأمر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:59]؛

طاعة الله مطلقة، طاعة الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- مطلقة، طاعة ولاة الأمور مقيدة، بمعنى أنهم لا يطاعون في معصية الله.

أما طاعة الله والرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- فهذه لا يقال فيها معصية لكن من جهة ولاة الأمور فلا يطاعون في المعصية.

حتى لو أمروا بمعصية فإنك لا تطيعهم لكن لا تخرج عليهم، تدعو لهم بالصلاح، ولا تثير فتنةً وفرقةً وتصبر حتى يتغير الحال، الخوارج لا يرون هذا ولكن أهل السنة يصبرون، وعلى هذا إمامهم الإمام أحمد لما حصلت الفتنة في وقته، قالوا له: ألا نخرج؟ قال: لا.

الآثار، الأدلة، الدماء، نصبر حتى يستراح من فاجر أو يستريح بر، وهذه الشريعة وهذه الحكمة، فيُجنِّب المسلمين شر عظيم.

لأن اختلال الأمن مفسدته عامة على الناس جميعًا، وأما الحال فإنه يتغير مع الوقت ومع كثرة الدعاء بإذن الله ، أما الخوارج والمعتزلة والأباضية والرافضة الآن كلهم يخالفون أهل السنة في هذا الأصل، لا يرون السمع والطاعة للحاكم الَّذِي عنده ذنوب.

يرون الخروج عليه هذا الباب عندهم غير معمول به مع أنه دل عليه القرآن والسنة والإجماع.

المتن

وتَركُ المراءِ والجِدَالِ في الدِّين، وتَركُ ما أَحْدَثَهُ المُحْدِثُونَ.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وأزواجِه وذريته، وسلَّم تَسليماً كثيراً.

الشرح

المراء والجدال هذا يصدر ممن اختل عنده الإخلاص، لأن هناك من لو كان يحمل الحق ولكنه يريد الانتصار لنفسه، ولا يضع الحق في موضعه بحكمة، بل تجده ينفر الناس عن الحق، بشروا ولا تنفروا ، يسروا ولا تعسروا، فتجده إذا بيَّن الحق كأنه يضربك ضربًا أو ينفر الَّذِي أمامه من هذا الحق أو يكتسب من هذا الحق جاهًا.

ويكون عنده خلل في الإخلاص، لا بل أنت تريد الخير للناس إذا كان الكلام في هذا الموضع سيُقبل أو هناك غالب الظن أنه سيقبل فتكلم وبين الحق.

أما إذا كان قول الحق في هذا الموضع مفسدة، أو سيحصل خلاف عظيم أو الَّذِي أمامك سيترتب عليه أنه يزداد شرًا هنا تتوقف، فهذا يكون بحكمة.

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. والحمد لله رب العالمين.